مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)

المجلد (5) العدد (16) نيسان 2013م – جمادي الآخر 1434هـ

د. مؤيد محمود حمد المشهداني

م.م. سلوان رشيد رمضان

جامعة تكرت

أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830

د. مؤيد محمود حمد المشهداني

م.م.سلوان رشيد رمضان

ملخص البحث

كانت الجزائر قبل سنة 1500م مكونة من جزر متفرقة يحكمها الرعاة ، وهي عرضة للاعتداءات الأوربية ، وبعد نزوح العرب المسلمين من الأندلس ، ظهر الإخوان بربروسا واتخذوا من الجزائر قاعدة لهم لصد الاعتداءات المحتملة ، وبعد استشهاد عروج سنة 1518 ، تسلم أخوه خير الدين الحكم ، وقام بالدخول تحت طاعة السلطان العثماني سليم الأول لمساعدته ، وبذلك انضمت الجزائر تحت الحكم العثماني ، ونظم خير الدين الجزائر تنظيماً جيداً استمر حتى سقوط العاصمة بيد الفرنسيين سنة 1830، إلا أن بعض الإخفاقات قد واجهت حكام الجزائر بعد وفاته ، تمثلت في عدم الاهتمام بالجوانب الاجتماعية التي منها الأوضاع الثقافية والصحية ، الأمر الذي أدى إلى تفاقم أزمات الشعب الجزائري من خلال تكاثر الإمراض وتدهور الاقتصاد والتعليم ، وسيطرة اليهود على التجارة

الداخلية والخارجية ، وتسلط الحكام واهتمامهم بتدعيم سلطتهم فقط دون النظر إلى حاجات الشعب الجزائري ، وبذلك طوقوا أنفسهم بطوق العظمة الذي سبب لهم نفوراً في النهاية ، ولم تتم مساعدتهم حين هجوم فرنسا على الجزائر وسقوطها سنة 1830 .

م.م. سلوان رشيد رمضان
جامعة تكرت

أوضاع الجزائر خلال في العهد العثماني 1518-1830

لم يكن التدخل العثماني في المغرب العربي امراً متوقعاً ، ولم يكن يدور في أروقة الدولة العثمانية نفسها ذلك الأمر ، فضلاً عن ان التدخل لم يكن نتيجة وتصميم عثمانيين ، بل حكمت الأمر الظروف السائدة في المغرب العربي بعد غزوات الأسبان المتكررة على سواحلها، وظهور عروج للدفاع عنها ، وإنقاذ المسلمين من سيطرتهم حتى وفاته ، وتسلم أخوه خير الدين السلطة من بعده، وطلب من السلطان العثماني سليم الأول الانضواء تحت حكمه نتيجة مبادرة اشترك فيها أهل الجزائر ، كرد فعل منهما على التدخل الاسباني، وبعد استتاب الأمر وتوحيد الجزائر تحت مسمى واحد ، أصبحت الجزائر تحكم كدولة كبرى شأنها شأن أية دولة أخرى واخذ حكامها على امتداد مراحل الحكم حتى عهد الدايات يطورون عمل أجهزتها الإدارية ، والمؤسساتية ، واستكمال متطلبات الدولة الاقتصادية ، والاجتماعية وتنظيمهما حسب الشريعة الإسلامية دون التدخل بالنسيج الاجتماعي أو اللحمة المغاربية ، بل فضل العثمانيون الاهتمام بأنفسهم والحفاظ على مكانتهم في المجتمع الجزائري ، من خلال قمع الثورات التي كانت تحصل من قبل أبنائهم الـگوغول ، وكذلك المشاكل التي تحدث بين رياس البحر والانكشارية للسيطرة على الحكم، أما علاقتهم بالدولة العثمانية

التي باتت محدودة بعد فقد الأخيرة عدداً من أراضيها لروسيا والنمسا ، وأصبح الرابط الديني هو الذي يربط بين الاثنين، بعد ان فضلوا إرسال الهدايا والأموال وجلب الانكشارية لمساعدتهم على إدارة دفة الحكم دون تدخل الدولة العثمانية مباشرةٍ في حكم الجزائر ، إذ ان الاتفاقات الرسمية بين الجزائر والدول الأوربية كانت تجري باسم الحكام الجزائريين وليس باسم السلطان العثماني وهو ما ولد وضعاً دولياً خطيراً كانت نتائجه سلبية على الجزائر ، ولاسيما بينها وبين فرنسا التي انتهت باحتلال الأخيرة في 5 تموز 1830 وفرض معاهدة مع الداي حسين لتسليم وإنقاذ نفسه ومعيته .

ونستطيع أن نقسم الأوضاع الجزائرية في العهد العثماني إلى :-

اولاً – الأوضاع السياسية.

أطلق على الأرض الممتدة بين حدود تونس والمغرب اسم الجزائر ، وهي مؤلفة من مجموعة جزر بحرية ، وكانت تدعى في التاريخ العربي القديم بالمغرب الأوسط واستمرت تلك التسمية حتى سنة 1500م(1) ، وقبل وصول العثمانيين إلى المنطقة ، تعرض المغرب العربي عامة والجزائر بخاصة إلى التهديد الاسباني بعد ان تمكنوا من إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس 1492م ، واحتلوا أجزاء واسعة ومهمة من الجزائر بين سنتي 1505-1513 وادخلوا تحت سيطرتهم عدد اً من المدن الساحلية الواقعة

على البحر المتوسط التي كان من بينها المرسى الكبير [2] ووهران وتلمسان وبجاية ، إذ لم تكن فيها أية سلطة حكومية موحدة ، بل كانت مجزأة إلى إقطاعيات مستقلة تتقاسمها إمارات البدو الرحل ، وكان عدد من المدن يحكمها طغاة مولعين بجمع الذهب مع قبولهم الخضوع للمحتلين الأسبان ، الذين تمكنوا من تحويل الجزائر إلى قاعدة للمرتشين والجواسيس والحكام الطامعين في السلطة[3] ، إذ لم تكن في المنطقة أية قوى بوسعها التصدي لهم وإيقافهم حتى مجيء الإخوة عروج وخير الدين [4] اللذين كانا يقومان بنشاطهما البحري في بحري ايجة والمتوسط حتى وصلا إلى الجزائر ، وبذلك بدأ عهد جديد من تاريخ الجزائر والمغرب العربي على حد سواء[5] .

تولى مهمة الدفاع عن الجزائر المجاهد عروج الملقب بربروسا حتى استشهاده سنة 1518م ، إذ تولى الحكم بعده أخوه خير الدين الذي استمر في الجهاد وإدارة شؤون البلاد، وقد أدرك ضعف موقفه السياسي في البلاد بسبب عدم وجود قاعدة شعبية له ، لما أحيط به بعدد كبير من الأعداء ، فضلا عن انتفاضات المدن الساحلية الجزائرية ، و نقص الذخيرة الحربية والمقاتلين الأكفاء ، مما دفعه إلى تحرير رسالة باسم أهالي مدينة الجزائر[6] إلى السلطان العثماني سليم الأول 1512–1520 يشرح فيها الأوضاع في الجزائر وخطر هجمات الأسبان وتدخلهم لنجدة الزعماء

المحليين الموالين لهم والرغبة الأكيدة لسكان الجزائر في ا لاعتماد على الدولة العثمانية كحامية للجزائريين ، والسبب الذي دفعه لطلب المساعدة منها كونها اكبر دولة إسلامية آنذاك ، ولاسيما بعد سيطرتها على بلاد الشام ومصر واليمن بين سنتي 1516- 1517[7] .

وافق السلطان سليم الأول بإعلان خير الدين تبعيته للدولة العثمانية ، إذ ان خضوع الجزائر كان يؤمن حدود مصر الغربية ، فضلاً عن توسيع أملاك الدولة العثمانية دون بذل جهد أو مبالغ مالية ، وشكل ذلك انذاراً لحاكمي تونس وتلمسان بقوة وهيبة الدولة العثمانية من خلال الرسائل المرسلة من السلطان العثماني إليهما[8] .

قام السلطان سليم الأول بإرسال نحو (2000) جندي مسلح بالبنادق وعدد من رجال المدفعية ، وفتح باب التطوع للراغبين من أهالي الأناضول في الذهاب إلى الجزائر ، مقابل تحمل الباب العالي تكاليف السفر وإعطائهم امتيازات تضاهي امتيازات الانكشارية [9]، الذين كانوا يمثلون الجيوش الممتازة التي تساق من الطبقات الفقيرة في الأناضول ثم تصبح طبقة ارستقراطية وإمارة في الجزائر[10].

أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به منذ ذلك التاريخ ، بعدما كان مقتصراً فقط على المدينة التي أصبحت مركز

الحكومة العثمانية، وادخل العثمانيون مفهوم الحدود السياسية إلى المغرب العربي الحديث ، بعد القضاء على الفوضى الداخلية التي كانت سائدة في اغلب مناطق الجزائر ، وتوحيد القوى لمواجهة الخطر الأوربي المحيط بهم(11).

أعلنت تبعية الجزائر رسمياً للدولة العثمانية بمنح خير الدين لقب (بيگلربيك) أو بايلر باي بمعنى (أمير الأمراء) ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه ، وبذلك تكونت إيالة (ولاية) الجزائر، ودعيّ للسلطان العثماني على المنابر وضربت السكة باسمه ، وخضعت إدارة الجزائر لإدارة خاصة ضمن منظومة أوجاقات الغرب(12) ، وبذلك نظم خير الدين الجزائر بعد إن أصبحت إيالة عثمانية تنظيماً عسكرياً ، لم يطرأ عليها تغيير كبير حتى الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م ، وتألفت من المشاة فقط لان الفرسان كانوا يؤخذون من بين قدامى الأغوات أو أبناء البلاد الأصليين للحفاظ على السلطة فيها(13) .

اعتمدت الإدارة العثمانية في الجزائر خلال عهد البگلربيگية ما بين سنوات 1518-1587 على طائفة رياس البحر (14) الذين تولى عدد منهم مناصب عليا في الدولة(15).

قسمت إيالة الجزائر خلال الحكم العثماني إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي(16) :

١ -إقليم قسنطينة في الشرق .

٢ -إقليم وهران في الغرب وعاصمته معسكر ثم وهران .

٣ -إقليم التيتري وعاصمته مدية التي تقع في وسط الإقليم .

وكانت تلك الأقاليم مستقلة في ميزانياتها ولكل إقليم عملة خاصة به وله مجلسان استشاريان إلى جانب الحاكم (مجلس الشورى والديوان)[17] .

لذلك قسم عهد حكم العثمانيين في الجزائر إلى أربعة عهود هي[18] :

١ -عهد البكلربكية 1518-1587 .

٢ -عهد الباشوات 1587-1659 .

٣ -عهد الأغوات 1659-1671 .

٤ -عهد الدايات 1671-1830 .

يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر ، إذ تميز بكثرة الإعمال العمرانية والإدارة السليمة وتنظيم البحرية أيام حكم السلاطين العثمانيين الأقوياء ، وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة اليولداش[19] ، ومن ابرز آثاره توحيد الجزائر سياسياً .

أما عهد الباشوات ، فقد كان على رأس الدولة والٍ تعينه الحكومة العثمانية لمدة (3) سنوات يمنح لقب (الباشا) ، وتميز بازدهار القوة البحرية

الجزائرية ، وسمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية[20].

وبرز في عهد الأغوات أن استأثر اليولداش فيه بالحكم ، وكانوا ينتخبون من بينهم آغا لمدة شهرين ثم يستبدل بغيره ، وتميز ذلك العهد بالمحاولات المستمرة لفصل الجزائر عن الحكم العثماني[21] .

وتمثل عهد الدايات[22] بعودة رياس البحر الذين تغلبوا على اليولداش وأقاموا حكماً جديداً هو نظام الدايات ، وذلك بانتخاب داي للحكم يحكم البلاد من قبل المجلس على أن يستمر بالعمل مدى الحياة لحين سقوط الجزائر بيد فرنسا سنة 1830م[23].

أما الموظفون الذين كانوا يديرون إعمال الايالة فهم على طبقتين :
الطبقة الأولى تضم الداي والموظفين وهم:-

1- الخزناجي : وهو المختص بالإشراف على الخزينة وإيداع مصادر دخل الدولة بشكل نقود ومقتنيات ثمينة ، يساعده كاتب الدولة وأمين السكة ، فضلاً عن أجير يِن من اليهود احدهما يدعى العيار للتحقق من النقود المشكوك فيها ، والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها .

2- بيت المالجي : وهو المشرف على مصلحة الأملاك وصيانة المقابر ، والثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو استبعادهم أو فقدانهم

أو في حالة عدم وجود ورثة شرعيين لهم ، يعاونه في تلك المهمة قاض يعرف باسم الوكيل وكاتبان يعرفان باسم العدول[24].

3- خوجة الخيل : وهو الموظف الذي يدير أملاك البايلك ويشرف على مواشي الدولة التي يقدمها الأهالي كضرائب عينية تفرض عليهم ، كذلك يقوم بالإشراف على تجنيد الفرسان (المخزن) [25] المتعاونين مع السلطة المركزية .

4- وكيل الحرج : الموظف المسؤول عن مراقبة النشاط البحري وإعمال الترسانة وتوزيع الغنائم.

5- آغا العرب : قائد فرقة الانكشارية وفرسان المخزن الصبائحية المعسكرين خارج مدينة الجزائر ، وهو من يقوم بمراقبة دار السلطان وملحقاته ، وكذلك السهول المعروفة بوفرة إنتاجها الزراعي والحيواني الذي تعتمد عليه الجزائر .

أما الطبقة الثانية من الموظفين ، فقد شملت المساعدين مثل : كتاب الدولة وموظفي الخدمات الاقتصادية والاجتماعية ورجال حفظ الأمن والإشراف على تطبيق القوانين والإحكام المعمول بها ، وممن يقومون بالإشراف على الديوان المحلي لكل من بايلك(الأقاليم) الشرق والغرب والتيتري[26] .

ثانياً – الأوضاع الاقتصادية

كان اقتصاد الجزائر في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن السادس عشر حتى القرن السابع عشر ، بسبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا ادواراً مهمة في زيادة إنتاج الأراضي الزراعية والصناعة والتجارة ، ومن ثم التقهقر الذي أصاب الاقتصاد الجزائري بعد النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى الاحتلال الفرنسي 1830 ، الذي كان سببه الأوبئة والطاعون وسنوات القحط التي تعرضت إليها البلاد ، وتأخر طرق وأساليب الزراعة والصناعة التي لم تعرف كيفية تحويل المواد الزراعية إلى صناعية، وركود التجارة التي انعكست على جميع نواحي الحياة الاقتصادية[27].

تتراوح نسبة سكان الجبال والأرياف ما بين (90-95%) من إجمالي سكان الجزائر البالغ عددهم نحو (2-3) ملا يين نسمة خلال المدة المبحوثة ، وهذا ما يؤشر لنا ان النشاط الزراعي بمختلف فروعه هو السائد ، إذ كانت الطرق التقليدية التي عرفتها الجزائر منذ ألاف السنين هي المستعملة في الزراعة، (المحراث والمنجل) ، أما نظام الإرواء الزراعي فكان يعتمد على مياه الإمطار لعدم توفر الخزانات والقنوات الإروائية ،

فضلاً عن أن معظم الأنهار موسمية الجريان ، ولذلك دأبت القبائل على حرث جزء من أراضيها ، بينما تترك الباقي بوراً وفقاً لطريقة المناوبة[28].

أما تربية الماشية ، فكان يجري الاهتمام بها بشكل كبير ، ولاسيما الأغنام ، إذ كانت تعد الإنتاج الأساسي للبلد ، وتدر على الفلاح والبلد ثروة كبيرة ، تقدر بنحو (7–8) ملايين رأس ، مع توفر الماعز والأبقار والجمال والخيل[29] .

اعتمدت الجزائر في تحصيل مواردها الداخلية على الزكاة التي تفرض على الماشية بالنسبة للمسلمين والضرائب بالنسبة لغير المسلمين ، وهي بنسبة (11%) كما فرضت الضرائب على الجلود والعسل والغنائم التي يكسبها البحارة، وكانت نسبتها بين 5–8% ، كذلك فرضت رسوم على الأموال المتروكة بدون وريث وعلى الميناء وأماكن الترف واللهو، وهناك رسوم طوابع وغرامات مالية لم تخضع لنظام ثابت ومحدد ، بل كانت تختلف من مرحلة إلى أخرى ، وما عرف عن الحكر وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون نتيجة استثمارهم الأراضي التي تملكها الدولة فضلاً عن ضريبة الخراج التي يدفعها أهل الذمة [30] .

وجدت فرقة خاصة تعرف بـ(المحلة) أو التحصيلات المحلية ، وهي المكلفة بجباية أموال الزكاة وغيرها من أنواع الضرائب ، فتبدأ عملها بين

شهري أيار / مايو وتشرين الأول / أكتوبر وتت نقل بين القرى والقبائل ، تجمع الضرائب المفروضة ويتحمل الأهالي نفقات إطعامها ومصاريفها[31] .

أما الواردات الخارجية للدولة ، فكانت تأتي عن طريق الغنائم التي يحصل عليها البحارة عبر المعارك البحرية التي يخوضونها ، والهدايا والحمولات والجزية التي كان يدفعها الأوربيون ، تضاف إليها المساعدات العثمانية ، فضلاً عن الموارد التي تحصل عليها الدولة عبر التجارة من خلال الموانئ الجزائرية عند تصدير المنتجات الجزائرية إلى خارج البلاد ، وكذلك عن بيع العبيد وفداء الأسرى[32] .

كانت الجزائر تشكو من نقص في الطرق والمرافق الضرورية لإيواء المسافرين الأمر الذي يمثل عائقاً في تنظيم التبادل التجاري على المستوى الخارجي ، كما ان عدم تنويعها يجعل من غير المفيد نقل السلع لمسافات بعيدة وبيعها بالأسعار السائدة آنذاك ، وان لا يتحمل التجار عناء نقلها ، واعتمدت التجارة على أساس المقايضة في اغلب الأحيان[33].

كانت الجزائر تسك النقود بثلاثة أنواع هي[34] :-

١ -العملات الذهبية : السلطاني ، ونصفه وربعه والمحبوب ونصفه وربعه.

٢ -العملات الفضية : الدورو الجزائري ، و ريال بوجو وريال درهم ونصف ريال درهم وثمن بوجو والموزونة.

٣ -العملات النحاسية : الصائمة وريال بسيطة وبعض قطع أخرى اقل منها .

إن أهم ما ميز العملة الجزائرية في العهد العثماني ، عدم استقرارها وصعوبة تحديد قيمتها بسبب تذبذب الأحوال الاقتصادية والسياسية في البلاد ، مما ساعد على ندرة المعادن الثمينة ، وتسبب في تدني القدرة الشرائية على الرغم من تدني أسعار الغلة ، وزاد من ذلك رواج أعمال تزوير العملة ، ولاسيما في بلاد القبائل ، على الرغم من وجود عقوبة الإعدام حرقا التي كانت تطول المزورين ، والعقوبات الجماعية ضد القبيلة التي يثبت تورط أحد أبنائها في عمليات التزوير بعدما يكون محل بحث ولم تستطع الدولة الوصول إليه[35].

يبدو إن عدم الاهتمام في الجانب الاقتصادي من قبل الحكام العثمانيين باعتماد الوسائل الحديثة في الزراعة ، قد سبب عدد من المشكلات التي طالت الفلاحين والتي بدورها أثرت سلباً على الإنتاج الزراعي والواقع التجاري بالوقت نفسه ، لارتباط الزراعة بالتجارة المحلية

والخارجية، وبذلك كانت هناك إخفاقات اقتصادية امتدت طوال العهد العثماني.

ثالثاً – الأوضاع الاجتماعية

يعكس التركيب الاجتماعي للجزائر التنوع العرقي من حيث الأصول للمجتمع الجزائري وبوجود الأتراك مما زادها لحمة مهمة للامتزاج الثقافي الموجود فيها من قبل ، وقد تكونت عدة فئات اجتماعية عدة خلالها، وهي[36]:-

1- الفئة الحاكمة : وتشمل الأتراك من قوات الانكشارية وموظفين وقادة (رياس البحر) وعلى الرغم من قلة تلك الفئة التي لم يتجاوز عددها حتى سنة 1830م أكثر من (20) إلف نسمة، إلا أنها كانت تسيطر على سدة الحكم ولها نفوذ واسع بحكم تسلمها المناصب الحكومية المهمة في الدولة ، وإبعاد أهل البلاد عن تلك المناصب ، والعمل على إبقا ئهم بعيدين عن منافستهم ، فضلاً عن استقدام أبناء جلدتهم من الأناضول في حالة وجود نقص في إدارة البلاد ، وبسبب ذلك ساد العداء بين أهل البلاد والفئة الحاكمة من الأتراك.

2- الكراغلة : تكونت تلك الشريحة نتيجة زواج إفراد من الجيش الانكشاري بالنساء الجزائريات، وظهرت تلك الطبقة للمرة الأولى في المدن التي

تمركزت بها الحاميات العثمانية ، وقد ساءت العلاقة بين الأبناء والإباء بسبب ارتياب الإباء منهم بعد تزايد إعدادهم ، مما دفع الحكام العثمانيين في الجزائر إلى إبعادهم عن المناصب الحكومية المهمة في الجيش والإدارة ، كما عملت السلطات على منعهم من دخول الديوان أو في الأوجاق ، فأصبح المجال الوحيد الذي يعملون فيه هو النشاط البحري [37] ، كون تلك المهمات بعيدة عن التأثير في تغيير السلطة التي كان يتمتع بها الأتراك .

3- المهاجرون من الأندلسيين ، ويطلق عليهم اسم (المورسيكيون) [38]: وهم الذين وفدوا إلى الجزائر في عهد خير الدين وخلفائه ، وبعد استقرارهم أسهموا في دور فعال في تطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية من خلال توسيع وبناء المدن في الجزائر ، وإنشاء مدن جديدة ، إذ لم يكن بإمكانهم الالتحاق بالجيش أو الوظائف العليا، لذلك اتجهوا إلى ممارسة عدد من الصناعات المحلية منها صناعة البارود والخزف وغيرها بفضل الأموال التي جلبوها معهم من الأندلس.

4- العبيد : الفئة المسحوقة التي تشمل نسبة كبيرة من الشعب الجزائري ، ولاسيما منهم الذين تعود جذورهم وأصولهم إلى السودان ، إذ كان التجار (الطوارق) [39] يحصلون عليهم بالمقايضة مقابل البضائع التي يبيعونها

إليهم ، وتصل إعدادهم إلى مابين (150–500) عبد سنوياً ، وكانت الفئات الحاكمة ، وغير الحاكمة تمتلك العبيد كنوع من التباهي بالثراء(40).

5- اليهود : كانوا عنصراً اجتماعياً لا يمكن تجاهله في الجزائر ، وهم موجودين منذ أزمان بعيدة، وعرفت الجزائر زيادة في عددهم بهجرات من مناطق أوربية مختلفة ، لكن أهم الهجرات كانت من الأندلس وجزر البليار الاسبانية ، وارتفع شانهم الاقتصادي من خلال بيع وشراء الغنائم البحرية ، وكذلك السمسرة والوساطة التجارية التي كانوا يمارسونها ، وهم ذوو السمعة السيئة في المجتمع الجزائري لكسبهم الفاحش غير المشروع وتسلطهم على أبناء البلد ، وكانت إعدادهم تتزايد حتى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، بسبب تقربهم من حكام الجزائر وعملهم المربح(41).

كان من الأخطاء التي ارتكبها الأتراك عدم محاولتهم ربط المجتمع في الجزائر بحكمهم ، واستمرت علاقاتهم بالمجتمع الجزائري تتسم بالسوء وبطابع نفعي بحت ، دون أية محاولة للتوحيد السياسي وهذا ما يفسر العدد الكبير للكيانات المستقلة أو شبه المستقلة داخل الجزائر ، فضلاً عن ارتباط المجموعات الجزائرية مع قادتها المحليين ، في إطار الطرق الدينية أكثر مما كانت تتفاعل مع الأتراك ، وهذا ما يظهر بشكل واضح في تاريخ

الثورات التي حدثت فيها ضد أي حكم أو حاكم ، والجدول التالي يبين توزيع نفوذ القبائل في الجزائر التي كان بعض منها مستقلاً وأخرى كانت خاضعة لسيطرة الأتراك قبل مجيء الاحتلال الفرنسي[42].

الجهات/ القبائل	مدينة الجزائر	تيتري	وهران	قسنطينة	المجموع
المخزن	19	14	46	47	126
القبائل الخاضعة	11	23	56	14	104
الزعامات نصف المستقلة	20	12	29	25	86
القبائل المستقلة	23	13	26	138	200

يبدو من خلال استقراء الجدول السابق ، أن حكم الأتراك لم يكن يشكل تهديداً لعدد من القبائل التي بقيت تمارس أعمالها بشكل عادي دون التأثير فيها كلحمة متماسكة تمتلك الأراضي والإمكانات الاقتصادية ، وسبب عدم محاولة ربطها بالحكم العثماني ، خوفاً من ثوراتها التي إذا ما اشتعلت فلن تتوقف ، وتجمع خلالها كل المجتمع حولها دون استثناء ، وهو ما كان يحصل على مر تاريخ المغرب العربي .

ولتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية في الجزائر يمكن تقسيمها إلى:–

1 – النظام القضائي

كان النظام القضائي في الجزائر خلال الحكم العثماني متصلاً بالحاكم ، إذ يعد مصدر السلطة السياسية والقضائية ، ويمكن تفويض السلطات إلى البايات والقضاة ، لكن إذا كانت الأحكام التي يصدرها القضاة لا تحظى بالموافقة من قبل الحاكم فبإمكانه أن يسحب التفويض من القاضي أو الباي ، وبما إن الحاكم العثماني كان من المعتنقين للمذهب الحنفي ، وسكان الجزائر يتبعون المذهب المالكي [43] فقد جرت العادة على تعيين المفتي الحنفي من قبل السلطان العثماني ، ويقوم حاكم الجزائر بتعيين المفتي المالكي ، لذلك كانت هناك محكمة لكل مذهب ومن لا يقبل بحكم المفتي فبإمكانه مراجعة المجلس الكبير الذي يضم علماء المذهبين والمنسوبين إليهما وهم يجتمعون كل يوم خميس في الجامع الكبير لتدقيق كل الأحكام الصادرة قبيل تلاوتها ، وأعضاء المجلس يستمعون إلى حكم الحاكم فإذا كان القرار غير مطابق للشريعة ينقض ولا يعمل به ، أما إذا كان المتخاصم ون من غير المسلمين فان القضاة يخرجون إلى ساحة الجامع لكي يستمعوا للخصومة ، ولم يكن القضاة يحصلون على المرتبات ، إنما كانوا يستحصلونها من الرسوم والمبالغ المالية عن كل عقد يسجلونه ويضعون عليه ختماً [44] ، كما إن هناك محاكم خاصة بالأسرى ال نصارى

ومحاكم خاصة باليهود وفي حالة حدوث خصومة بين النصارى والمسلمين فان الحاكم هو الذي يفصل فيها توخياً لعدم حصول مشاكل اجتماعية داخل المجتمع الجزائري[45].

أما بشأن الجرائم الجنائية مثل (القتل والسرقة والخيانة والتآمر) فقد كانت من اختصاص الحاكم في دار السلطان أو عاصمة داي الجزائر ويقوم رجال الأمن المتكونون من (11) شاوشاً بتنفيذ إحكام الإعدام[46] في المسلمين غير الأتراك ، وكذلك العبيد والنصارى الموقفين في السجن ، أما إعدام اليهود فكان يتم حرقاً ، وإذا ما ارتكبت جريمة قتل لأحد الأتراك فان عقوبة القاتل تكون برميه من المرتفعات إلى البحر ، وإذا لم يتم التعرف على القاتل فان سكان الحي يتعرضون إلى العقوبة الجماعية ، أما أذا ارتكب احد الأتراك جرماً فيعاقب ويعاقبون سراً في دار آغا الانكشارية حتى لا تهان كرامتهم ، أما عن ارتكاب جريمة قطع الطرق أو السطو المسلح ، فقد كان الحكم على الفاعل بالصلب على كلاليب من حديد ، وفي حالة الزنا يصار إلى رجم المرأة الزانية بالحجارة حتى الموت حسب الشريعة الإسلامية ، وإذا كانت الزانية مسلمة والزاني نصراني أو يهودي فتوضع الزانية في كيس يخاط عليها ثم ترمى في البحر [47] .

2 – الأوقاف (الأحباس)

تعد الأوقاف من المظاهر الحضارية الإسلامية ، فه ي تعبر عن إدارة الخير في الإنسان المسلم ، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع ، وقد تطورت إدارة الأوقاف في العهد العثماني ، كنتيجة سياسية واقتصادية ، وتقوم فكرة الأوقاف على مبدأ شرعي وعلى أسس قضائية ملزمة ترتكز عليها إدارة الأوقاف ، وتلك الأسس تكون ملزمة من الأهالي ، ويلتزم باحترامها الواقف والمستفيدون منه ، ولكن تلك الأسس لم تكن محل احترام دائم ، فقد يسيء الوكيل التصرف في الوقف ، وقد تتدخل الدولة فتحول فوائد الوقف إليها، لذلك كان إهمال الأوقاف أو سوء إدارتها محل شكوى من المسلمين ، ولاسيما علماء الدين(48).

كانت الأوقاف الجزائرية تدار من قبل موظفين يدعون بالوكلاء أو (النظار) تعينهم السلطات العمومية ممثلة في الباشا أو السلطة القضائية ممثلة بالمفتي ، ويتم اختيارهم حسب سمعة الشخص الاجتماعية من جهة تقواه أو نسبه ، وهذا التعيين ليس دائمياً ، إذ يمكن نقضه حينما يظهر ما يخل بالوظيفة من سوء إدارة أو إهمال ، ويختلف الوكلاء في مسؤولياتهم حسب أهمية المؤسسة الوقفية المسندة إليهم من حيث عدد العقارات المحبسة ، وكانت وظيفتهم تشمل إصلاح وصيانة المرفق المحبس ودفع أجور العمال وجمع مداخيل المرافق من إيجار واستغلال(49).

والأوقاف نوعان عامة وخاصة ، فالعامة : هي أوقاف بيت المال والطرقات والعيون والأندلسيين والإشراف ، أما الخاصة كأوقاف الجامع الكبير والمساجد والزوايا والقباب ، وهناك أنواع خاصة بالأوقاف للمؤسسات الدينية منها[50] .

أ– مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين : وهي أوقاف مدينتي مكة والمدينة وتعد من أهم المؤسسات من حيث عدد أوقافها ، والموارد التي توفرها.

ب– مؤسسة أوقاف أهل الأندلس : وهي تتجاوز (101) وقف تعود فائدتها إلى الأسر المنحدرة من أصل أندلسي ، وقد نشأت سنة 1572 من قبل أغنياء الجالية الأندلسية الذين كانوا يوقفون الأملاك لإخوانهم اللاجئين الفارين من الأندلس .

ج– مؤسسة سبل الخيرات: تضم جميع المساجد الحنفية وعددها 14 مسجدا .

د– مؤسسة أوقاف الأشراف : تحتوي على عدد من المراكز الوقفية ، وتضم جماعة الأشراف بمدينة الجزائر نحو (300) أسرة ، تشرف على سير تلك المؤسسات الخيرية، إذ أنها لا تحظى إلا بتأييد الرجال الطيبين ، والمشرعين في جميع البلدان وكان هدفها أنسانيً يرمي إلى التخفيف من المشاكل التي يعانيها المجتمع الجزائري، وتعمل على إسعاد المجتمع ،

وتهدف إلى التخفيف من الجنوح الاجتماعي ، كذلك كانت تلك المؤسسات الخيرية مسؤولة عن دفن الفقراء المسلمين وتوزيع الصدقات بينهم ، إذ تقوم بتوزيع الإعانات بين أكثر من (200) فقير كل يوم خميس[51].

يبدو إن أهمية مؤسسة الأوقاف في الحياة الاجتماعية للجزائر العثمانية كانت خدمة للدين الإسلامي ، والتعليم كما كانت عنوانا للتضامن الاجتماعي والتقارب الأسري بين إفراد المجتمع وانتشال المعوزين والفقراء من بؤسهم ، وهي حالة من التعايش المذهبي التي دعا إليها أئمة المذهبين الحنفي والمالكي .

3 – الأوضاع الصحية .

كان عدم الاهتمام بالشؤون الصحية من قبل العثمانيين سبباً في عدم بناء المستشفيات لذلك، بقي الجزائريون يعتمدون على الزوايا[52] التي كانت تأوي العجزة والمرضى وتداويهم حسب ما كتبه ابن سينا في العلاج بالإعشاب المعروفة بين الناس ، ولم تكن هناك مهنة للأطباء ، إنما الذين يقومون بالعلاج هم غالباً يداوون مرضاهم مستخدمين الجن والأرواح ، وليس بالعلم، وأما أعمال الجراحة فيقوم بها الحلاقون الذين يستعملون الكي ، وكان في مدينة الجزائر مستشفى اسباني خاص بالنصارى ، ولم يكن للسلطة العثمانية إي تدخل بمهنة الطب ما عدا

تعيين(جراح باشي) من قوات الانكشارية الذي يصحب الجيش في الحملات العسكرية للعناية بالجرحى[53] .

وجراء الإهمال المتعمد لمهنة الطب ، أصاب وباء الطاعون مدينة الجزائر مرات عدة وفي سنوات مختلفة ، ولقي عدد كبير من السكان حتفهم في المدن والأرياف ، وهلكت الماشية والرعاة بعد ان لاقوا المصير نفسه ، وكان المرض ينتقل من السفن التي ترسو في موانئ المدن التي تجلب معها المرض أو من ملامسة الحيوانات ، وتطور المرض ليتحول إلى حمى عفنة تظهر بعد ذلك الدبيلات (الدملة) ، وتوفي عدد كبير من السكان بعد شرائهم الأمتعة والملابس القديمة التي ينتشر فيها المرض ، أما السلطة الحاكمة فقد كانت تستفيد من خبرة الأطباء الأجانب الذين يؤخذون أسرى ، واستمر ذلك الإهمال حتى سقوط الجزائر بيد فرنسا سنة 1830 [54].

4- الأوضاع الثقافية :-

أ – دور العلم

شكل اختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات الوافدة من خارج البلاد ، نتج عن ذلك ظهور عدد من المدارس الدينية والفقهية ، التي انتشرت في إنحاء الجزائر لتكون مراكز للثقافة العربية وقاعدتها المسجد والزوايا ، إذ عمل فيها عدد

من علماء الفكر والعلم من المسلمين المشتغلين بعلوم الفلسفة والفقه والأدب وباقي العلوم الأخرى ، وكان لبناء الزوايا دور ثقافي واضح في النشاط الديني والعلمي ، إذ شاركت في تخريج عدد من الطلبة ، فضلاً عن دور المساجد التي كانت تدرس العلوم المختلفة ، وكان المسجد مكاناً للعبادة ومدرسة للتعليم ودار للقضاء ومأوى للطلبة وعابري السبيل[55].

أما الكتاب فهو عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه أو غرفة في منزل ، وقد خصصت لتعليم القرآن والقراءة والكتابة ، والكتاتيب التي تعلم القرآن لا تخلط مع تحفيظه شيئا من العلوم الأخرى ، وبلغ عددها في الجزائر نحو (10) الآف كتاب يضم الواحد منها ما بين 20–30 تلميذاً ، وهي منتشرة انتشاراً واسعاً في الجزائر ، إذ لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا في القرى والأرياف[56].

إن الولاة العثمانيين كان لهم تكوين ثقافي بسيط مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم ، لذلك يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الإنتاج الثقافي ، لعدم اهتمامهم بذلك الجانب الحيوي والثقافي، إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت على التراث الفكري الذي ورثته ونبغ فيه علماء وشعراء واتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية مختلفة[57].

حملَ المجتمع الجزائري على عاتقه نشر التعليم متاثراً بعوامل خارجية في مقدمتها هجرة الأندلسيين الذين طوروا ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم والموسيقى ، وذلك من خلال ا حتكاكهم بالأوربيين في عصر النهضة بعد فتح الجامعات في أوربا ، وبقيت اللغة العربية لغة الأكثرية من الجزائريين ، مع اتخاذ الدولة اللغة التركية كلغة رسمية ، رافق ذلك المناخ استعمال اللغة الخليط لغة الفرانكا [58] (Lingua Franca) عند التبادل التجاري مع الدول الأوربية التي تتعامل مع الموانئ الجزائرية ، لذلك ازدهرت الثقافة واشتهر عدد من العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[59] .

ونستدل من ذلك على إن العثمانيين في الجزائر لم يهتموا بالجانب الثقافي بقدر اهتمامهم بجوانب الحياة الأخرى ، وان مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي وللمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي .

كانت دور العلم والمدارس تمول من واردات الأملاك الموقوفة التي أوقفها أصحابها اتراكاً وعرباً في إعمال الخير والإصلاح والإنفاق على شؤون تلك المدارس ، وتنسيب العلماء للتدريس فيها ومنحهم مستحقاتهم المالية ، وكان تلامذة العلم يلازمون شيوخهم لشهور أو لسنوات عدة على

وفق انقياد تام لتلقي علوم الدين والفقه ، ويجرى احتفال كبير بعد كل عملية ختم للقران الكريم حين يكمل التلميذ الدراسة ويمنح الإجازة التي تؤهله حق التدريس[60].

حرص عدد من التلاميذ الجزائريون من ميسوري الحال على التزود بالعلم من مصادر خارجية ، فهاجروا إلى مراكش وتونس ومصر والحجاز ، والتقوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم ، وكانوا ينالون حظوة كبيرة حين عودتهم إلى بلدهم ، إذ يقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة ، وغالباً ما يجمع إلى وظيفة المدرس وظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء[61].

ب- المكتبات

وجد عدد كبير من المكتبات في الجزائر قبل مجئ العثمانيين إليها و قد حافظ عليها أبنائها في إثناء العهد العثماني ايضاً ، وكانت الكتب في الجزائر تكتب محليا عن طريق التأليف أو النسخ أو تجلب من الخارج ، ولاسيما من بلاد الأندلس ومصر واستانبول والحجاز ، كما جلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب ، فضلا عن أن معظم الكتب قد وردت إلى الجزائر عن طريق عدد من العمال العثمانيين في الجزائر ، إذ كان القضاة والدراويش والعلماء قد اصطحبوا معهم

مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم ، ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي ، ونسخ من صحيح البخاري ، وكتب الأدعية والأذكار التي تصدر عن الطرق الصوفية ، وكان النسخ بالخط الأندلسي ، الذي سبق الخطوط الأخرى في المغرب العربي ، فضلاً عن الخط العثماني الذي جيء به إلى الجزائر ، وان اهتمام العمال، كان بسبب التلاقح العلمي، ولم تكن للسلطة الحاكمة يد فيه ، بل هو عمل إسلامي فردي(62).

مع سيادة العلوم الدينية في العهد العثماني كان محتوى المكتبات ، كتب التفاسير والأحاديث الدينية والفقه والأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية ، إذ اشتهرت مدارس العلم (بزواوة) بالأدب والنحو والصرف واللغة والبلاغة والعروض ، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة ، وكتب الحساب والطب والفلك فكانت قليلة(63).

كثرت المخطوطات في العهد العثماني ، وقد وضعت في مكتباتها التي كانت منقسمة إلى مكتبات عامة وخاصة ، وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون ، ويلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها ، فللمكتبات العامة كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس ، بينما كانت المكتبات الخاصة تنتشر في البلاد بين العائلات ال مشهورة بالعلم والأعيان الذين لديهم اهتمام بالكتب ونسخها (64).

كانت المكتبات موزعة بين إنحاء الجزائر ، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم ، وحسب أهمية المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان ، فكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن المخطوطات ، بسبب وجود العلماء والأدباء المتعلمين والمثقفين فيها[65].

كان مصير المخطوطات غير أمن ، إذ ضاع عدد منها نتيجة الإهمال والنهب والتهريب والحروب التي وقعت بين الجزائريين والعثمانيين أو الحروب التي حصلت مع الأوربيين ، وقد سُمحَ للعلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر وما يقال عن المكتبات الأخرى يقال عن المكتبات الريفية ، إذ كانت لها أهمية كبيرة ، كمكتبة ميزاب في بني يزقن ، التي حافظ عليها أصحابها كمركز مهم لحركة الكتاب في الجزائر الغربية والجنوبية، وكما هو الحال في المكتبات الموجودة في مدن زواوة وورقلة وبجاية والخنقة ، وهذا كله يدل على وفرة الكتب في الجزائر حتى في المناطق النائية ، كما أن المواطن الجزائري حافظ على تلك المكتبات لما تشكله من وسيلة لنشر التعليم ، وشحن أذهان العلماء والمدرسين[66].

يبدو إن عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية في الجزائر ، لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه من العلوم الإسلامية والإنسانية، والاهتمام بالمكتبات وثرائها بالكتب والمخطوطات والحفاظ عليها من التلف

بحملها إلى أماكن آمنه ، وبالتعاون مع العاملين في الجزائر لرفد المدارس والزوايا والجوامع بتلك الكتب المختلفة، والقيام بنسخها يدوياً للنهوض بالواقع السيئ الذي فرض عليهم .

الخاتمة

كانت الظروف القائمة في الجزائر تنذر بالسوء جراء الاعتداءات المتكررة من قبل الدول الأوربية الطامعة في مقدراتها مع فورة الاستعمار والاستحواذ على المناطق العربية بعد انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس ، لذلك عمل القادة الأتراك على تامين وصول المسلمين إلى المغرب العربي ، ومن ثم الدفاع عنها ضد هجمات الأسبان المتكررة ، وبالتحالف مع الدولة العثمانية للوصول إلى مبتغاها وتامين ثغورها من تلك الهجمات ، والملاحظ على تلك السنوات التي عاشتها الجزائر تحت الحكم الاسمي للدولة العثمانية ، أنها قد أرست قواعد الدولة وجعلتها في مصاف الدول الكبرى من خلال سيطرتها على البحر المتوسط وقيام رياس البحر في فرض الضريبة البحرية على كل السفن المارة خلاله ، وتنظيم القوانين الشرعية والأحكام اللازمة لذلك في المجالات كافة ، استمرت على مدى 3 قرون بسطت خلالها الأمن والاستقرار مع عدم التدخل في بلاد القبائل أو في المشاكل القبلية التي لا تجد لها حلاً ، وكذلك سيطرة الحكام على أمور

الدولة الفتية ، وترسيخ أسسها من خلال تنظيم الموازنة العامة بين المداخيل من الإيرادات وبين المصروفات العامة ، وتوسيع خزينة الدولة إلى حد قامت بمساعدة الدول المتضررة مثل فرنسا بعد ثورتها سنة 1789 ، إلا ان الملاحظ على أعمال الحكام وتصرفاتهم أنها كانت سلطوية نفعية باتجاه السيطرة على الجزائر وأبنائها ، لذلك سقطت في أول هجوم بري عبر مداخلها الغربية .

ABSTRACT

before years 1500 A.B , Algeria was Consisting of Islands sporadic which were ruled by shepherds and were attacks European . after displacement Arab Muslims and Jewish from Andalusia, Brother hood Barbarous had appeared and Considered ther hood Algeria as a base to repel attacks possible . after the death of Oruj 1518 year A.B ., His a brother was called Khair- Aldin who has accessed under obedience ottoman Sultan Selim rule who was known I to help him . At that time , Algeria belonged to the Ottoman rule, and Khair- Aldin arranged as well and continued until the Filature of the capital by farces in 1830 A.B. many problems which faced Algeria rulers after his death . the se problems which included such as social side involving Cultural and health Conditions there fore these problems led to in Ceruse problems of

Algeria people through speeding diseases economics and neglecting education . The Jews Controlled or internal and extra trade . Another rouser, the rulers were Cared in their authority only without taking Considerations that the needs of Algerian people , There fore the rulers surrounded them jelves with a band of which Caused them a alienated the end, did not assist them while French forces attack on Algeria in 1830 .

الملحق رقم (1)[1]

خارطة الجزائر العثمانية



(١) علي عبد القادر حليمي ، المصدر السابق ، ص294.

الهوامش

1- أسس العرب مدينة الجزائر سنة 935م وأسموها الفضة بسبب البريق الذي كان يشع من مبانيها ، أما تسميتها القديمة فكانت ايكوسيم (Ikosim) وهي تسمية فينيقية ، وفي العهد الإسلامي شهدت ازدهاراً وعمراناً كبيراً وتوسعت في عهد الدولة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي .ينظر . عبد الحكيم العفيفي ، 1000 مدينة إسلامية ، بيروت ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000، ص188 ؛ علي عبد القادر حليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م دراسة في جغرافية المدن ، الجزائر ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، 1972 ، ص33 ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر الملحق رقم (1) .

2- المرسى الكبير : مدينة ومرفأ في الجزائر يقع بين وهران ومستغانم أسسه ملوك تلمسان على البحر المتوسط يبعد بضعة أميال عن مدينة وهران ، ويوجد فيه ميناء لا مثيل له ، إذ تستطيع (100) سفينة الرسو فيه بمأمن من كل عاصفة ، لذا يعد من أفضل مرافئ الساحل الجزائري ، وقد تمكن الأسطول الاسباني السيطرة عليه بعد حصار دام شهراً كاملاً ، شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس -ـ الجزائر – المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1985، ج2 ، ص323 .

3- نيقولاي إيڤانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574 ، ترجمة يوسف عطاالله ، بيروت، دار الفارابي ، ط2 ، 2004 ، ص119-120.

4- الإخوة بربا روس : نشأوا في جزيرة مدلي (Midili) من بحر الأرخبيل لأب تركي يدعى يعقوب بن يوسف الذي كان سباهياً شارك في عهد السلطان محمد الفاتح بفتح جزيرة مدلي وقد منحه السلطان تيماراً هناك ، تزوج من امرأة اختلف في أصلها والأرجح أنها أندلسية أنجبت له أربعة أبناء (اسحق وعروج وخير الدين ومحمد الياس) ، وقد حرص الأب على تنشئة أبنائه نشأة إسلامية ، عمل الإخوة في التجارة البحرية ونقل الخزف والبضائع إلى الشام ومصر . بسام العسلي ، خير الدين بربروس والجهاد بالبحر 1470-1547 ، بيروت ، دار النفائس ، 1980

، ص27 ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر . جاسم محمد حسن العدول ، عروج ودوره في إحداث المغرب العربي وحوض البحر المتوسط الغربي، مجلة التربية والتعليم ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة ، والنشر ، العدد (2)، 1980، ص191-.204

5- احمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1984 ، ص10 ؛ يوسف صاريناي وآخرون ، الجزائر في الوثائق العثمانية ، ترجمة فاضل بيات ومحمد صالح الشريف ، أنقرة ، 2010 ، صlx.

6- فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007 ، ص535-536 ؛ عبد الجليل التميمي ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519 ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، مطبعة الاتحاد العام للشغل ، العدد (2) ، 1976 ، ص119-120 .

7- ارجمنت گوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ترجمة عبد الجليل التميمي ، تونس منشورات الجامعة التونسية ، 1970 ، ص.21

8- عزيز سامح التر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1989 ، ص72-73 .

9- امتيازات الانكشارية : اخذ مكانة ممتازة في الجيش ، واجر شهري ويحصل على المناصب بحسب القدم ، وينخرط في الوظائف السامية بعد خروجه من العسكرية . عثمان الكعاك ، التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، تونس ، مكتبة العرب ، 1344 هـ ، ص435.

10- فاضل بيات ، المصدر السابق ، ص539.

11- عقيل لطف الله نمير ، تاريخ الجزائر الحديث ، دمشق ، جامعة دمشق ، 2008 ، ص.49

12-أوجاق الغرب: الأوجاق بمعنى الموقد، أطلقت في اللغة التركية على البيت ثم على جماعة التي تتلاقى في مكان واحد ثم على طائفة من طوائف أرباب الحرف ثم أطلقت في العهد العثماني على صنف من أصناف الجند، وعلى كل الهيئات المختلفة من القبول إن يقال: أوجاق الانكشارية أوجاق الغرب، أوجاق التنفكجية...، والاوجاقي اصطلاحا هو الجندي أو العسكري ، شوكت باموك ، التاريخ المالي للدولة العثمانية ، تعريب عبد اللطيف الحارس ، بيروت ، دار المدار الإسلامي ، 2005، ص 91 ؛ محمود رئيف أفندي ، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تعريب وتحقيق. خالد زيادة ، طرابلس_ لبنان مطبعة جروس _ برس ، 1985، ص39-40 ؛ نجم الدين عبد الستار صادق ليلاني ، البحرية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني 1520-1566 م ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة تكريت ، كلية التربية ، 2009 ، ص11 .

13- أندري ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة لطيف فرج ، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، 1991 ، ص56 -58 ؛

14- رياس البحر : وهم المقاتلين الذين ينجحون في أداء الاختبار الذي يعد من قبل مجموعة من رجال البحر ذوي الخبرة والحنكة في فنون الملاحة ، ويكون الشخص المتطوع في اغلب الأحيان ممن عمل سابقاً في مجال البحر وركوب السفن كي يمنح بعد نجاحه لقب (ريّس) ليقاتل العدو في البحر بعد توليه قيادة سفينة أو مركب بصفة مالك أو قائد ، وكان الرياس من أصول نصرانية أوربية وينتمون إلى جزر (أيبيريا وكورسيكا وفينيسيا وجنوه ونابولي وعدد منهم يونانيين) ، إما البحارة الأتراك فقد كانوا أقلية ، ويعتمد رجال الطائفة في تمويلهم على الخزينة العامة وغنائم القرصنة. ينظر وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زيادية ، الجزائر ، دار القصبة للنشر ، 2006 ، ص74-75 .

15- للمزيد من التفاصيل ينظر . ضمير عودة عبد علي زويد ، الجزائر في الصراع الاسباني العثماني 1518-1587 دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة البصرة، كلية الآداب ، 2006، ص129-133.

16- نور الدين حاطوم ، المصدر السابق ، ص466-467.

17- شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس- الجزائر- المغرب) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1977 ، ص.101

18- احمد إسماعيل راشد ، تاريخ الأقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا – تونس- الجزائر- المغرب- موريتانيا) ، بيروت ، 2004 ، ص.132

19- اليولداش : هم فرقة أنشاها خير الدين في بداية حكمه من العثمانيين المسلمين وال نصارى الذين اعتنقوا الإسلام ، وكانت العضوية والانخراط فيها تمكن صاحبها من الحصول على امتيازات عدد منها الإعفاء من = الضرائب والعقوبات ، وهم يتصفون بالشجاعة والإقدام ، وكانوا يرقون بالرتب والمرتبات ، أما الجزائريين أو الكراغلة المولودين من آب تركي وأم جزائرية فلم يحصلوا على الرتب العسكرية ، بل مسموح لهم الانتماء فقط، للمزيد من التفاصيل ينظر . مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزائر ، مكتبة النهضة الجزائرية ، 1964 ، ج3 ، ص123-124.

20- المصدر نفسه ، ص137-138.

21- كانت العلاقات بين الجزائر والسلطة المركزية في استانبول متشنجة بسبب الاضطرابات التي حدثت في عهد الأغوات ، إذ انعدم الاستقرار فيها كولاية عثمانية وفصل الولايات الثلاث (الجزائر وتونس وطرابلس الغرب) عن بعضها البعض ، مما عرض أملاك الدولة العثمانية للخطر ، واسهم في إقامة دول متصارعة بعد ان كانت جميعها تحُكم من بكَلربيك الجزائر ، وزاد الأمر سوءاً بعد التمردات التي حصلت ، إذ لم تكن تأتي من الجزائريين وحدهم ، بل من قوات الانكشارية والبحرية، فضاق السلطان العثماني محمد الرابع 1648-1687 من تلك الاضطرابات التي وصلت إلى طرد ممثل السلطان علي باشا من الجزائر ، وأرسل الصدر الأعظم كوبرلو محمد 1656-1661 إلى القائمين على الحكم في الجزائر رسالة غاضبة جاء فيها :" اخيراً لن نرسل إليكم والياً ، بايعوا من تريدون السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر ، فالجزائر ان كانت وان لم تكن شيئ واحد، ومن بعد ذلك ان اقتريتم من الممالك

العثمانية فلم تكونوا راضين" ، وهذه الرسالة جعلت الأغوات يغيرون الحكم من نظام تبعية إلى نظام مستقل عن الدولة العثمانية . ينظر . عبد الكريم غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 2005 ، ج2 ، ص.344

22- الداي : أو دايي يعني الخال في اللغة التركية وحرف عند الباحثين العرب إلى الداي واستعمل مصطلحاً ليطلق على قائد الأسطول ، أما تسمية هذا الدور في الجزائر فيعود إلى الجند البحريين أو قادتهم الذين أطلقت عليهم التسمية منذ سنة 1671 حتى 1830. فاضل بيات ، المصدر السابق ، ص542-.543

23- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1997 ، ص57-61 ؛ احمد إسماعيل راشد ، المصدر السابق ، ص132 .

24- محمود إحسان الهندي ، الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة فالاستقلال ، دمشق ، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع ، 1977 ، ص 51- 52؛ عمار بوحوش ، المصدر السابق ، ص 65-66 ؛ نجاة احمد عروة ، الظروف المعيشية الصعبة في مدينة الجزائر في العصر العثماني ، مجلة أفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (41) ، السنة (11) ، نيسان / ابريل 2003 ، ص.86

25- المخزن : مكان خزن البضائع والمؤن ، ثم أصبحت تطلق للدلالة على القوة التي يستعملها الداي لفرض سلطانه ، وتتألف من القوة العسكرية التركية ، وعدد من قبائل العرب والبربر المتعاونون معه. مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983، ص.81

26- للمزيد من التفاصيل ينظر . ناصر الدين سعيدوني ، موظفوا الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، 1987 ، ص8-30 .

27- عقيل لطف الله نمير ، المصدر السابق ، ص.181

28- إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1980، ص24 .

29- المصدر نفسه ، ص.25

30- مبارك محمد الهلالي الميلي ، المصدر السابق ، ص 128؛ محمود إحسان الهندي ، المصدر السابق ، ص.69

31- عزيز سامح التر ، المصدر السابق ، ص140-142 .

32- محمود إحسان الهندي ، المصدر السابق ، ص69-70 ؛ ناصر الدين سعيدوني ، الخزينة الجزائرية 1800-1830 ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد (3) ، 1975 ، ص22.

33- إسماعيل العربي ، المصدر السابق ، ص.25

34- يحيى بو عزيز ، الموجز فـي تاريخ الجـزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،1965، ج1، ص156.

35- قبايلي هواري ، العملة الجزائرية في أواخر العهد العثماني ودولة الأمير عبد القادر ، مجلة المخبر، الجزائر، الأعداد (12-15) ، 2008-2009 ، ص38-.39

36- مغنية الأزرق ، نشوء الطبقات في الجزائر ، دراسة الاستعمار والتغيير الاجتماعي – السياسي ، ترجمة سمير كرم ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، 1980 ، ص 45 ؛ وليم سبنسر ، المصدر السابق ، ص97؛ محمود إحسان الهندي ، المصدر السابق ، ص.72

37- أدت تلك الإجراءات التعسفية من قبل الانكشارية إلى قيام الكراغلة بثورات في عهد الباشوات بتشجيع من حكام الجزائر ضد الانكشارية ، وبتحالفهم مع بلاد القبائل والسكان المحليين ، ولكنها لم تحقق نتائجها ، وتم طردهم خارج المدينة بقرار ديواني سنة 1630م ، وبعدها عادوا إلى المدينة متنكرين بزي الفلاحين وهاجموا معسكرات الانكشارية ، غير أن ثورتهم أخفقت لاختيارهم الوقت غير المناسب للثورة ، فضلاً عن ذلك لم يحصلوا على تأييد رياس البحر لان اغلب عناصرهم كانت خارجة لغزو السواحل الأوربية . عقيل لطف الله نمير ، المصدر

السابق ، ص98-99 ؛ فارس كعوان ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ، الجزائر ، بيت الحكمة ، 2009 ، ص49 .

38- المورسيكيون : مصطلح يطلق على العرب الذين تنصروا في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، وأصل الكلمة تصغير لكلمة مورس ومعناها المسلمون الأصاغر رمزاً إلى ما انتهت إليه الأمة الأندلسية من السقوط والانحلال ، علي اجقو علي ، دور قلعة الجهاد (مدينة الجزائر) في منع تكرار مأساة الأندلس في المغرب 1516-1541 ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (56) ، السنة الرابعة عشر ، كانون الثاني / يناير 2007 ، ص.121

39- الطوارق : ينتشر هؤلاء في الصحراء الكبرى مابين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مروراً بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر ، ترجع أصولهم إلى صنهاجة وهناك خلاف بين النسابة العرب بشأنهم ، والمشهور أنهم من اليمن ، وان افريقش لما غزا افريقية أنزلهم بها ولا خلاف بين نسابة العرب إن صنهاجة ليست من البربر وإنما غالبيتهم من أصول عربية قريبة منها القبائل التي تقطن شمال مالي وقبائل أغلال المقيمة بمدينة شنقيط الموريتانية ، إما سبب تسميتهم بذلك الاسم فيرجع إلى عدة أراء ، أنهم تركوا طريق الهداية ، ومنهم من قال سموّا نسبة إلى طروقهم في الصحراء وتوغلهم فيها ، ومنهم من قال انه بسبب انتسابهم إلى القائد العربي = = المسلم طارق بن زياد وقد يكون ذلك الرأي الأقرب ، إما لغتهم فهي(تاماشاق) أو (تاماشك) وهي إحدى اللهجات العربية القديمة التي قضى عليها الإسلام حين وحد لغة العرب بلغة قريش التي نزل بها القران الكريم . للمزيد من التفاصيل ينظر محمد سعيد القشاط ، التوارق عرب الصحراء الكبرى ، القاهرة ، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء ، ط 2 ، 1989 ، ص17-30 ؛ عبد الرحمن الجيلالي ، هؤلاء التوارق الملثمين ، مجلة الأصالة ، الجزائر ، العدد (7) السنة (8) ، آب/ أغسطس 1971 ، ص 18-34.

40- عائشة غطاس ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية ، الجزائر ، منشورات ANEP ، 2007، ص.36

41- للمزيد من التفاصيل ينظر . كمال صحراوي ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ، رسالة ماجستير (غير منشورة) الجزائر ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2008 ، ص 26-29 ؛ علي تابليت ، يهود الجزائر في الفترة العثمانية 1516-1830 ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، تونس ، العددان (11-12) تشرين الأول / أكتوبر 1995 ، ص167-185.

42- محمد عبد الباقي الهرماسي ، المجتمع والدولة في المغرب العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 ، 1992 ، ص 29 ؛ محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، دمشق، مطبعة جامعة دمشق ، 1969، ص.206

43- المذهب المالكي : بدأ بالانتشار في المغرب العربي بداية سنة 799م على يد علي بن زياد وابن الأشرس وغيرهم عن طريق تدريس كتاب الموطأ لمالك بن انس واعتماده كمذهب على الرغم من وجود الحنفية والاباضية ، وحين تراجع المذهب الاباضي على يد الفاطميين تحول عدد من المجتمعات القبلية نحو مذهب الإمام مالك، وأصبح المغرب العربي نهاية القرن الرابع الهجري في معظمه مالكياً . ينظر . علاوة عمارة ، انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية ، مجلة أفاق الثقافة والتراث ، دبي ، العدد (56) ، السنة (14) كانون الثاني / يناير 2007 ، ص28-29.

44- عزيز سامح التر ، المصدر السابق ، ص.140

45- فارس كعوان ، المصدر السابق ، ص 81-82 ؛ عمار بوحوش ، المصدر السابق ، ص.71

46- أحكام الإعدام : كانت تنفذ بإحدى الطرق الثلاث ، وهي الارتماء القسري بإجلاس المحكوم على حائط ارتفاعه (5) أقدام وتحت الحائط قلنسوة حديد قوية مربوطة بقوة حادة جداً يرمى عليها ، أما الطريقة الثانية عن طريق (السفود) وهي إدخال قطعة خشب دائرية طولها ثلاثة اذرع وعرضها في حجم ساق الرجل احد طرفيها حاد جداً بين الكتفين وتخرج من الخلف ويبقى المحكوم هكذا حتى وفاته ، أما الطريقة الثالثة فهي الضرب حتى الموت بوضع المحكوم مضطجعاً على

ظهره إلى الأرض وهو عار ويضربه خادمان بحبلين مضاعفين على ظهره وأمعائه حتى الموت ومهما يكن إن تلك الأحكام قليلاً ما كانت تستعمل لأنها مفزعة عدا الجلد لأنه أكثر شيوعاً . وليم سبنسر ، المصدر السابق ، ص.130

47- محمود إحسان الهندي ، المصدر السابق ، ص65-66 .

48- مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص.318

49- فارس مسدور وكمال منصوري ، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ والحاضر والمستقبل ، مجلة الأوقاف ، الجزائر ، 2003 ، ص4.

50- هناك أوقاف أخرى هي : أوقاف الانكشارية والطرق العامة وعيون الماء . ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 335 ؛ عائشة غطاس ، المصدر السابق ، ص 84 ؛ راغب السرجاني روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص150

51- خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871 ، الجزائر ،1977 ، ص.24

52- الزوايا: هي بمثابة مساجد ومدارس وملاجئ ، وكان لكل زاوية شيخ ينشر تعاليمها بين أنصارها ويقال لهم (الإخوان) ، وهناك مقدم يقوم بتوجيه إتباع الزاوية في المجالات الدنيوية ، وهو ما شجع على قيام عدد من الطرق الصوفية وانتشارها ، واهم تلك الطرق هي : القادرية والطيبية والدرقاوية والتيجانية والرحمانية ، وكان لتلك الطرق تأثيرات حسنة منها أنها عامل وحدة بين فئات الشعب ، إذ قوت من الروابط بين العرب والبربر ، كما أنها قادت المقاومة ضد الإدارة العثمانية ، ومن مساوئها أنها زادت من اعتقاد الناس بالخرافات الدينية وتقديس الأضرحة . محمود إحسان الهندي ، المصدر السابق ، ص 76-78 ؛ الحسن السائح ، الثقافة المغربية في عصر السعديين ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، العدد (3) ، السنة (7) ، 1963 ، ص21.

53– أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط3 ، ص.168

54– للمزيد من التفاصيل ينظر نص الوثيقة المرقمة (6) عن انتشار الطاعون ، لوسات فلنزي ، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790–1830 ، ترجمة حمادي الساحلي ، تونس ، مطبعة سراس ، 1994، ص124–128؛ أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص.169

55– ضمير عودة عبد علي زويد ، المصدر السابق ، ص164–166.

56– للمزيد من التفاصيل ينظر ، اجقوا علي ، دور الكتاتيب القرآنية الحرة في الحفاظ على القران واللغة العربية في الجزائر ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد (49) السنة (13) نيسان/ ابريل 2005 ، ص21–.23

57– يحيى بو عزيز ، المصدر السابق ، ص157–.158

58– لغة فرانكا : أو لينغوا فرانكو : هي اللغة الأكثر نجاحا في تاريخ العالم ، إذ يتم الكلام بها في كل قارة ، ويتعلمها معظم الطلاب في العالم كلغة ثانية ، وهي مفتاح العلوم والأعمال التجارية العالمية كونها لغة السواحل في كل الدول البحرية ، وكذلك من الثقافلت الشعبية. حمد العيسى ، نهاية سيادة اللغة الإنجليزية كأهم لغة عالمية ثانية ، المجلة الثقافية ، الرياض ، العدد (334) الخميس 10اذار / مارس 2011 .

59– من أشهر العلماء : عيسى بن محمد الثعالبي ، ويحيى بن صالح الملياني ، وسعيد المقري ، واحمد بن عمار الجزائري ، وعمر محمد المنقلاتي . احمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص73–74؛ يحيى بو عزيز ، المصدر السابق ، ص157–.158

60– أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص.165

61– ضمير عودة عبد علي زويد ، المصدر السابق ، ص167 ؛ أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق، ص163

62– نوال سقاي ، الأوضاع الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بوزريعة ، كلية العلوم الإنسانية ، 2008 ، ص44 .

63- أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص.166

64- نوال سقاي ، المصدر السابق ، .45

65- المصدر نفسه ، .45

66- أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص166.